بعدا خرى اذ الله المطلع عليها فى الازل سريع الحساب فيسرع بهم الى النار او اعمالهم التى يتوهمون انها
بكشف الحجب وتنور بهم بالنور الالهى كظلمات لكونهم خالية من الاعتقادات الفاسدة فى بحر لجى عميق
منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشيه موج من الحيرة من فوقه موج من الشبهة من فوقه سحاب
يحجب عن روية الدلايل والكشوف الصحيحة فهذه ظلمات لا تنكشف عنهم لكثافتها عليهم اذ بعضها
فوق بعض فهو بحيث اذا اخرج يده لاكتساب نور او كمال لم يكد يريها اى لم يقرب من
رويتها كيف ولم يجعل الله لهم نور الايمان الذى هو اصل انوار الاعمال لعدم استعدادهم له
ومن لم يجعل الله له نورا فى استعداده فما له من نور من كسبه وان كان مميز العبرة فان استبعدت
ان يكون للكفار اعمال يبتغون بها رضوان الله تعالى ولا يفيدهم شيا قيل لك الم تر ان الله يسبح له
من فى السموات والارض من العقلاء ولا يفيدهم التسبيح مثل ما يفيد الانسان الكامل على ان الكفار
فى باب المعرفة والعبادة لا يعدون من العقلاء فعبادتهم كعبادة الحيوانات العجم وان تميزوا
عنهم فهم كالطير تميزت عن الدواب والطير تعبد ربها صافات ولا يفيدها عبادتها مثل
ما يفيد العقلاء فضلا عن الانسان الكامل وليس ذلك لجهلها بعبادتها او معبودها بل كل قد علم
صلوته اى دعاءه لله وتسبيحه له ولا لعدم اطلاع الله عليها لخفائها اذ الله عليم بما يفعلون وان
كان خفيا عليهم او على غيرهم وانما عبده الكل لانه الملك اذ لله ملك السموات والارض والملك معبود
بالطبع ولا يرد ان من لا يحضر الملك لا يعبده اذ الى الله المصير فهم فى حكم الحاضرين بل حاضرون
له دايما وان لم يحضر لهم حسا وان استبعدت ان يكون لبعض العبادات فايدة دون البعض قيل لا
يبعد عن المختار الم تر ان الله يزجى سحابا اى يسوق بخارا هو مادة السحاب من البحار والجبال
الى الطبقة الباردة من الهواء مفرقا ثم يولف بينه اى بين اجزائه ثم يجعله ركاما اى بعضه فوق
بعض ليبرد الاوسط بعون برودة المكان مع عدم وصول حرارة الشمس اليه ثم يجعل له
فتوقا فترى الودق اى المطر يخرج من خلاله اى فتوقه وينزل من السماء اى من جهة العلو
من جبال فيها اى من قطع عظام من السحاب كالجبال حصلت من افراط برد اى برودة فيصيب به
اى بالمطر والبرد من يشاء ويصرفه عن من يشاء لمحض الاختيار ثم انه يكون بين اطباق
السحاب ادخنة تحترق باصطكاك بعضها ببعض بحيث يحصل منها فى تلك البرودة نار لها
فى تلك الظلمة ضوء يكاد سنا اى ضوء برقه من افراطه يذهب بالابصار فاين هذه الحرارة من
تلك البرودة المفيضة مطرا او بردا واين هذا النور من هذه الظلمات كانه يقلب الحار باردا
والبارد حارا والمنير مظلما والمظلم منيرا كما انه يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك المذكور
الدال على محض الاختيار فى اثناء استعمال الاسباب لعبرة لاولى الابصار فانه وان جعل العبادة

سببا للثواب فانما تؤثر باختياره فالعبادة بمنزلة البخار واركانها بمنزلة الاجزاء
وانضمام بعض انواعها الى بعض بمنزلة الركام والثواب بمنزلة المطر واليقين بمنزلة البرد
والشوق بمنزلة البرق يكاد يذهب بابصار صاحبه بالافناء ويحصل منه تقلب الصفات
وقد تنقلب الطاعة معصية وبالعكس لكن الكل انما يحصل باختيار الله تعالى اذ يصيب بها
من يشاء ويصرفها عن من يشاء ولا يبعد ان يجعل عبادة الكفار سببا لمعاقبتهم ويجعل
عبادة المسلمين سببا لثوابهم فقد جعل الواحد سببا لامور مختلفة اذ الله خلق كل دابة
اختلاف انواعها من ماء اى من نوع واحد منه وهو النطفة ثم جعل لمشيها اسبابا مختلفة
بل لم يجعل لمشى البعض سببا فمنهم من يمشى على بطنه بلا آلة ومنهم من يمشى على رجلين ظاهر آلتان
ومنهم من يمشى على اربع نظرا لاربع آلات فعلم انه يخلق الله ما يشاء من الاسباب والمسببات
وما لا سبب له والاسباب انما صارت اسبابا بجعله اياها اسبابا فلا حاجة له اليها اصلا ان
الله على كل شئ قدير بالاسباب وبدونها بل لا اثر لها وان جرت السنة الالهية بالتاثير عندها
وكذلك الاختلاف فى باب العبادة اصلها امر واحد هو الاعتقادات ثم منهم من له عبادتان
الصلوة والصوم ومنهم من له اربع عبادات الصلوة والزكوة والصوم والحج ومنهم من
يصل الى الله بلا عبادة وهو المؤمن الذى لم يدرك وجوب شئ من الفروع بان جن او مات
قبل ذلك وكيف ننكر تاثير الاسباب فى البعض دون البعض وقد تحقق فى ايماننا فانا لقد انزلنا
آيات اى دلايل مبينات بالتمثيل ومع ذلك لم يفد هداية الكل بل الله يهدى من يشاء لان الطبايع
تميل الى افراط او تفريط فتعارض دلالة الدلايل ما لم يهدها الله الى صراط مستقيم مثل ان لا يعطل
الاسباب ولا يجعلها واجبة التاثير وقد يظهر تاثيرها على وجه كلى ثم يظهر خلافه كالذين يقولون آمنا
بالله وبالرسول واطعنا فحصل لنا الهداية فى بابى الاعتقاد والعمل ثم يظهر خلافه اذ يتولى اى
يرتد فريق منهم ليس هذا تاثيرا الى مدة ثم انقطاعه بل من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين فى
من بعد فعله
الباطن من اول ما ظهروه ويدل على عدم ايمانهم فى الباطن انهم اذا دعوا الى كتاب الله وسنة
رسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون اى فاجاء الاعراض من فريق منهم ولو كان ارتدادا
بعد الايمان لم يحصل المفاجاة فيه وايضا لو كان ارتدادا لاستمر حالة كون الحق لهم او لغيرهم
ولكنهم ان يكن لهم الحق ياتوا اليه اى الى هذا الحكم مذعنين اى منقادين فلو قيل انهم انما اعرضوا
لذهاب اموالهم لا للارتداد عن الايمان يقال افى قلوبهم مرض يميلون له الى الاموال
دون الله ورسوله وترجيح حب المال على حب الله ورسوله كفر وهو مستمر فيهم ام ارتابوا
اى شكوا فى ان الراجح جانب الله او جانب المال وهو ايضا كفر مستمر فيهم ام يخافون ان يحيف الله